## من تراب الطريق! (١٦٥)

# فارس من الزمن الجميل (*)

حلت من أسبوع، ذكرى رحيل فارس المحاماة الأستاذ العظيم مصطفى مرعى . سجله فى المحاماة حافل بصفحات ناصعة، لا يوازيها إلاّ سجله فى الحياة الوطنية، كان فى جميع الأحوال فارساً بلا منازع، نبدر أن يضاهيه فى فروسيته أحد، وكانت مواقفه تجسيدا لهذه الفروسية .. فى المحاماة وفى الحركة الوطنية !

كنت صبيا حين ذهبت إلى محكمة جنايات شبين الكوم رفقة أبى عطية عبده المحامى، كان والأستاذ مصطفى مرعى زميلَىَّ دراسة بمدرسة الحقوق الملكية، وكثيرا ما حدثنى أبى عنه، فذهبت إلى المحكمة مشوقا إلى سماعه ، قامة فارعة، وحضور طاغ، وأداء حار ينساب هادئا وفى لحظة تراه كالهدير .. أفلتت يومها من ممثل النيابة عبارة متجاوزة، ربما تغاضى عنها كثيرون، ولكن مصطفى مرعى لا يعرف الإغضاء حين تُمس كرامة المحاماة، فانطلق كالأسد الهصور يقول : " أرجو أن تستحى النيابة التى لا تراعى أدباً ولا استحياء " !. صمتت القاعة وكأن الطير على رءوس الجميع، وسكت عضو النيابة ولم يعقب احتراما للأستاذ الجليل الذى كان سالفا أفوكاتو عموميا ومستشارا بالنقض ووزيرا، ولو كان غير مصطفى مرعى الذى أطلق هذه العبارة، لقامت الدنيا ولم تقعد !

كانت الفروسية هى الملمح الأساسى فى حياة مصطفى مرعى، يصاحبها علم واسع وثقافة حاضرة ولغة دانت لصاحبها وأداء فى المرافعات وفى البرلمان لا يضارعه أحد .. قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وبعدها

---

(*) المال ٢٠٠٨/١١/١٩

، لم تفارقه فروسيته قط .. يقف فى (٢٩) مايو ١٩٥٠ ليلقى استجوابه الشهير الذى جرى على محورين : أحدهما يضرب فى ملك البلاد ويفجر ما أُعْطِىَ لمستشاره الصحفى كريم ثابت من مستشفى المواساة، ويثير فى ثانيهما نفقات حملة فلسطين والأسلحة الفاسدة !

أما استقالته من وزارة حسين سرى باشا، فغير مسبوقة، سواء فى مبادرته إليها قبل فترة وجيزة من اكتمال فترة استحقاقه معاش الوزير، أم فى صياغته لها .. هو يخطر باعتزاله ولا ينتظر قبولا لاستقالته .. فحسبه أنه قرر .. طفق يقول مما قاله فيها لرئيس الوزراء : " تحية وبعد، فأنت تعلم، كما يعلم غيرك، أنى إنما اشتركت فى حكومتك على أمل فيك أن لك غاية هى جمع الكلمة، وضم الصفوف . وأن لك هدفا هو جمع القوى المؤتلفة على مواجهة الخطر من مشاكلنا الخارجية والداخلية . وقد تبين لى أنك لا تتغيا هذه الغاية، ولا تتوسل بوسائلها، بل إنك لتبدو كما لو كنت مسلطا لتجعل من كل حزب حزبين وكل فرقة فرقتين . وقد رأيتك بنفسى ترى الرأى للحق وتنقضه للباطل، وتقول الكلمة وتنكرها، ولم يقع ذلك مرة واحدة فى تافه من الأمر، بل وقع مرارا وفى الخطير من شئون الدولة .... لهذا أحيطك علما باعتزالى العمل فى الوزارة " !

هو الفارس الذى صاغ العريضة الشهيرة ووقعها مع كبار الشيوخ ووجهوها إلى الملك تحمل خطايا الحكم والبطانة المحيطة به، وتواجهه بما لم يواجهه به أحد .. وتراه فى محاكمة إبراهيم باشا عبد الهادى، أمام محكمة الثورة برئاسة البغدادى وعضوية السادات وحسن إبراهيم، لا يتردد فى الانسحاب حين جعلت المحكمة تضيق الخناق على الدفاع وتهدر حقوقه - ولكنه لا يترك المحكمة دون أن يقول لها عبارته الشهيرة : " خير للمتهم أن يكون بلا دفاع، من أن يكون بدفاع أبتر " !

كان هو الفارس المغوار فى مواجهة قانون العيب، وفـــى التـــصدى للتآمرعلى حرية الصحافة .. فشمر وقد تجـــاوز الثمـــانين يكتـــب كتابـــه الضافى: " الصحافة بين السلطة والسلطان " !

كم تلقى هذا العظيم من طعنات لقاء مواقفه وفروسيته، رأيته فى نقابـــة المحامين كالطود الشامخ يواجه فى شجاعة زمر البلطجية الـــذين دُفعـــوا للإحاطة به ومنعه من إلقاء كلمته الاحتجاجية على ماجرى ويجرى لنقابـــة المحامين !

هذه سطور من مواقف فارس عظيم فى الزمن الماضى، دفع الثمن ولم يبال، ترى ماذا يتحمل الفرسان فى زمن القحط ؟!